المحاضرة رقم 02: النمو المعرفي عند الطفل.

تمهيد:

أصبح النمو المعرفي أهم شيء في علم النفس الطفل و المراهق، طاردا بذلك نظرية سيقموند فرويد و قد ظهر هذا الاهتمام بسبب طبيعة الموضوع (الطفل) و الذي أخذ من علم الوراثة و النمو العصبي و زاد نشاط الأبحاث في المجال المعرفي فقد برامج علاج و مساعدة الأطفال لينموا مهاراتهم و جعلهم يستفيدون من تواجدهم في الصفوف المدرسية.

1-تعريف النمو المعرفي:

هو المجال الذي يدرس كيفية تطور و تغير العمليات العقلية مثل: التفكير و التعلم و الذاكرة و الادراك لدى الاطفال و المراهقين، يركز هذا المجال فهم كيفية اكتساب الأفراد للمعرفة و تطوير مهارات التفكير النقدي و حل المشكلات.

2- نظرية "بياجيه" في النمو المعرفي:

يعتبر "جون بياجيه" أكثر رواد علم النفس الحديث، هو عالم سويسري، نشر 20 كتاب و قام ب200 دراسة في مجال علم النفس الطفل و مشاكله، تضم نظريته مجموعة من المفاهيم الأساسية و هي:

\*مفهوم المرحلية: يراها على أنها خطوة في طريق النمو، تضم عددا من المكتسبات التي يقوم نظامها على التوافق مع مراحل السن التي يجتازها الفرد و التي تعكس كل مرحلة منها مدى اتحاد المكتسبات الجديدة مع سابقيها اتحادا يؤدي الى نشوء التراكيب العقلية التي تتميز كل منها بخصائص تتفق مع مرحلة العمر العقلي التي يجتازها الطفل، كما أن كل تركيب سابق فيها يندمج مع التركيب التالي له و يترتب على ذلك أن كل مرحلة تتميز عن الأخرى بتركيب جامع بطريقة تنظيمية و مفهوم المرحلة عند بياجيه هو مفهوم تجميعي، فالمرحلة السابقة لا تلغي سابقتها و إنما تحتويها و تطور فيها.

\* التغيرات الكمية و النوعية: التغيرات التي تحدث للطفل في مراحل عمره هي تغيرات في نوعية مجال النمو كالتغير في التفكير، إضافة الى اكتساب تغيرات لم تكن موجودة من قبل و هي التغيرات الكمية.

\* التتابع: يرى بياجيه أن الأطفال يسيرون في سلسلة من المراحل، لا يختلف نظامها، بالرغم من أنه يرى أن الأطفال يصلون الى كل مرحلة في أوقات مختلفة، إلا أنهم يسيرون بنفس النظام و لا يخلون به، و هذا ما يعني أن كل الأطفال في كل الثقافات ينمون عقليا بنفس الطريقة و أنهم جميعا يبدؤون من نفس النقطة و نفس تتابع الخطوات، إلا أنهم يختلفون في سرعة النمو و لا يوجد منهم من يتخطى أي مرحلة و لا يمر بها، أو يتبع طريق أخرى في النمو المعرفي.

\* التمثل أو الاستيعاب: هي العملية التي تفسر المعلومات من العالم الخارجي لتصبح مناسبة للبناء المعرفي للطفل.

\* الموائمة: هي العملية التي تغير البناء المعرفي للطفل بحيث يتناسب مع المعلومات الموجودة في العالم الخارجي.

\* التكيف: هو عملية التوازن التي تحصل للفرد بين مفهومي التمثل و الموائمة و لا تتم إلا بتفاعل الطفل مع بيئته تقاعلا متبادلا يكتسب فيه الخبرات.

2- مراحل النمو المعرفي عند بياجيه:

2-1 مرحلة العمليات الحسية الحركية: من الولادة الى سنتين، يكون الرضيع مفهومه عن العالم الخارجي بما يحدث من تآزر بين ما يحس و الحركات التي يوجهها نحو الموضوع الذي يحس به.

-تتشكل ردود الأفعال المنعكسة بدايات ما يمارسه الرضيع من استجابات لاحساساته للعالم االخارجي (سمع، بصر...).

- يظهر في نهاية هذه المرحلة قدرة على التعامل مع الرموز اللغوية (ماما، بابا) و ينجح في تكوين صور ذهنية لهذه الرموز، يطور كذلك مفهوم بقاء المواضيع، يستطيع اتباع التعليمات و تتحسن لديه الذاكرة طويلة و قصيرة الأمد.

* 1. مرحلة التفكير ما قبل العمليات: من 3 الى 6-7 سنوات، من خصائصها:

-ينمو التفكير الرمزي (ادراك الأحداث المنفصلة كوحدة أو سلسلة متكاملة).

- اتساع دائرة النشاط اللغوي مع زيادة المفردات اللغوية و التصنيف و الاحيائية و المركزية في التفكير.

2-3 مرحلة العمليات المادية: تستمر الى فترة المراهقة و هي تتميز بما يلي:

-تلاشي حالة التمركز حول الذات.

-يطور الطفل قدرات الاستدلال و الاستنتاج المنطقي و الانتباه التلقائي للأشياء.

2-4 مرحلة العمليات المجردة: من 12 الى السنوات اللاحقة و هي تتميز ب:

-القدرة على التفكير الشكلي و المجرد و نمو المفاهيم و المبادئ التي ليس لها تمثيل مادي كالحرية و العدل.

- تنمو مفاهيم المساحة و الحرارة و الكثافة مع نهاية هذه المرحلة.

3- علم النفس الطفل الجديد:

يمكن اعتبار حوالي 50 سنة بعد نظرية بياجيه في النمو المعرفي أين ظهر علم النفس الطفل الجديد. يعتبر تصور النمو المعرفي حسب ما رايناه عند بياجيه هو تصور خطي و تراكمي لأنه مرتبط بفكرة الاكتساب و التطور ، إلا أن المعطيات الحديثة أثبتت أنه تصور غير دقيق، فمن جهة أثبتت الدراسات أن للرضيع قدرات معرفية معقدة (رياضية، حسابية و فزيائية) تم تجاهلها من طرف بياجيه و هي غير قابلة للاختزال في مجرد ذكاء حسي حركي و من جهة أخرى فان النمو المعرفي و الى حد سن الرشد هو ممتلئ بالأخطاء و التحيزات المعرفية و الانتكاسات المفاجئة و هي غير موجودة عند بياجيه كذلك و عليه فان نمو الطفل يكون عبر نمو ملتوي تموجي و ليس خطي.

خلاصة:

مهما كان التصور الحالي للنمو المعرفي عند الطفل، إلا أنه لا يمكن أن يختزل مثلما هو موجود في نظرية بياجيه على شكل نموذج مراحل خطية و تتبعية، فهو أقل خطية و أكثر تعقيد و ديناميكية و بدون نسيان دور العوامل العصبية فيه.